الفجر فى الريف

بقلم على شرف الدين
المدرس بمدرسة بنى سويف الابتدائية

وليلة قضيتها ساهراً والنجمَ ، أقضى الليل فى عدّه
حتى أشاع الديك نعى الدجى وسُلَّ سيف الصبح من غمده
فالكون معقود اللّما صامت أيأس مَن ناداه مِن ردّه
كأنه فى صمته راهب فى الله ، مايلهيه عن عبده
أو ثاكل أودى لها واحد رأت ذهولَ الحزن فى فقده
أوخدن كأس مولع بالطلا أسرف حتى غاب عن رشده
والأفق وهنان الكرى حالم حلم الغرير الطفل فى مهده
مرونق الصفحة ضافى السنا كرونق السيف بإفرنده
أطلق فيه الفجر خلجانه فضيّة كالنيل فى رفده
منمنم يختال فى زخرف ما حازه رضوان فى خلده
ودّ سنىُّ الروض لو ضمه وصوح الريان من ورده
حتى إذا هب نسيم الصبا فنبه الغريد فى عوده
ألقى عليه الصبح ثوب الضنى وذوّب العشق على خده
دنيا جمال نام عنها الورى والمرء كم يغفل عن سعده
لو يعرف النائم مقدارها ما آثر النوم على سهده
محبوكة الزخرف جل الذى أبدع هذا الصنع من عنده

* * *

كم عند فجر الريف من خالد يعيا بيان الشعر عن نقده
كأنه فى العين دنيا المنى جاءت لمفجوع على جدّه
تبدو به القرية فى هالة ترنو لفجر الشرق فى وقده

غريقة فى السحر يتلو الرُّقى غرِّيدُها الصادح فى عوده
نامت بحضن النيل ما روِّعت من جزره يوماً ولا مدِّه
تنفس الصبح على عطفها تنفس المولود فى مهده
ونظم الريحان من حولها فرائد الطلِّ على جيده
ونسمة فى المرج وهنانة روت عن الروض شذا ندِّه
كأنها من لطفها خاطر بالنفس خافٍ دقَّ عن حده
أحنى من الأم على واحد لا شىء غير الله من بعده
وهاتفات فى ذرا ناضر والغصن كم يحلو بغريده
ما أرسلت أترابها مثلها لا فى غضَى نجد ولا رنده
تتلو على الآذان ما وقعت بنانُ (إسحاق) على عوده
أيقظن بالمعمود ذكرى الهوى فزدنه وجداً على وجده

* * *

وقائم فى مسجد سُحرة وسيف هذا الصبح فى غمده
مذهّب النغمة سحريّها يرفّ نور الله فى فوده
كقائد يغزو جيوش الدجى ملائك الرحمة من جنده
أهاب بالريف فأصغى له من شيبه تترى ومن مُرده
من كل نهب للضنى بائس حزت صروف الدهر فى كبده
ردّوه عن غرس رعى سقيه كما يُردّ النحل عن شهده
ترنّح العزّ على سعيه ومالت النُّعمى على كدّه
أودى به النسيان من قومه فعاد كالميت فى لحده

* * *

وكاعب تمشى إلى منهل مشى القطا هوْنا إلى وِرده
عذراء وشّى الطهر أذيالها ولفّها الإحصان فى بُرده

إذا دهاهـــا جرس خلخالها أبصرت ظبي القاع في صدّه
ظبي رأى النسيان في كوخه والقصر مفتون على قرده
ما وسوس الحلى على صدره لكن غناه الطهر عن عقده
يكاد ماء النهـــر يجري له ولا ينال المشي من جهده
إذا دنا والشط في ثورة صفا ونام الموج من ودّه
ريفية في جفنهـــا ناعس كم سال نعمان على خدّه
يجري اللظى والماء في وجنة قد ألفت شيئا على ضـــدّه
وكم بهذا الريف من لؤلؤ ما فكر الغواص في صيده
مهد الظباء الكحل نجدية من كل ريم مدّ من جيده
أشكو إلى الله هوى شادن أمسك أحشائي على بُعده
قد يخلق النأي جديد الهوى وحبنا باقٍ على عهـــده